

القسم الثاني

من العروة الوثقى

باريس في يوم الخميس في ١٠ شعبان سنة ١٣٠١ و ٥ يونيه سنة ١٨٨٤

هذا ما سافت اليه الحوادث المصرية وهي مفتاح الكوارث الشرقية وفيها مغلاقها . العظام من الدول في يقظة لاسنة معها وحركة لا فتور فيها مفاوضات متواصلة بينها قبل انعقاد المؤتمر ومجادلات متلاحقة يداب فيها السياسيون من كل امة بعضها بالمراسلة وشي منها بالمشافهة . كثرت خلوات السفراء من كل دولة مع نظار الخارجية من سواها يتها مسون ويغامزون ويسرون خلاف ما يعلمون ويذهبون الى ما لا يقصدون وقد حملق كل بصره لالاخر لعله يلمح من كل وجهه ما ينبي عن مضمرات سره ويعصوب كل فكره الى ما يريد الاخر من قوله عسي ان لا يفوته شيء مما ربما يعتل به وجل ما انصرفت اليه قوائم تمثيل الرغائب وتخيل المطامع في صور ابعدها عن الحقيقة اقربها الى الخيال . يعظمون الحقير ويحقرون العظيم ويحسمون المزهوم ويضلون عن المعلوم ويقربون البعيد ويبعدون القريب يذهب كل ساحبه الى رياض من الاماني باهرة الانوار بزهور الامال وما نبت ارضها الاعلى حبايل من المكر وفخاخ من الخديعة حتى اذا راقه المنظر

وخطا خطوة سقط من حيث لا يشعر . هذا سهل صعباً والإنة
يوعر سهلاً وكل يتبع لحاظ رصيفه اذا احس منه لمحا المقص
ابرز له الوائاً من الفوائد الموهومة ليستلفته عن مرامه واذا شعر .
بفكر يوصله الى ما يسه فتح عليه ابواباً من الفزع ليزججه عما يطل
ويشوش عليه سيره ويقطع سبيل فكره . منهم من يكسب الاصد
بمال غيره ومنهم من يستفيد الرققاء بكف شره . ومن الناس اقوا
آخرون على غوارب امواج الحواث نائمون نقذفهم كريمة وتلقفهم
اخرى وهم عنها غافلون زلزلت بهم الارض زلزالها ودهمتهم الخطورة
بارزائها وتوالت عليهم المزعجات وتناولتهم عواصف المفزعات وهم في
سكينة تخيل لناظرها انهم على بساط الراحة مطمئنون والمقبل على
الفوز من هولاء واولئك انما هو احزمهم رايأ واثبتهم عزيز
واشدهم بشونه بصيرة .

يقول الانكليز انا عدونا على الهند من زمان طويل فاغتصبنا
وحقت لنا الملكية عليه بما هو مقرر في شرائع القوة وقوانين التغلب
واين ديارنا في بريطانيا من هذا الملك العظيم في شرقي اسيا . المسافات
طويلة والشقة بعيدة فلا بد ان يكون لنا في كل مكان موطى لاقدامنا
لنحفظ باملا كنا فلنا حق في اغتصاب جل العالم لاجل الهند خصوصاً
القطر المصري فان به السبيل التي لا يمانلها سبيل وليس لنا عنها غنى
وكنا في تطلع اليها من زمن قديم وكثيراً ما تمسكنا بجبال من

الوسائل إليها فرثت في أيادينا بقوة حكام تلك البلاد حتى
 هيأت لنا حوادث السنين الأخيرة ما احلنا دارهم واقربنا في قرارهم .
 انا ذهبنا لتقرير توفيق باشا وتشيته على كرسي الخديوية المصرية الا
 انه بقتال ونزال فلا تختلف صورته عن صورة الفتح فلنا حق التملك في
 تلك الاقطار وقد فهم الناس ان مسيرنا الى مصر كانت لغاية اقرار
 الراحة وازالة الاختلال وكاننا صرحنا بذلك عند عز منا عليه لكن
 الغرض الحقيقي انما هو تأمين طريق الهند فتسنى لنا ما قصدنا بمحلول
 عساكرنا في وادي النيل فثبتنا فيما اصبنا وليس لنا ان نتركه بعد
 الوصول . وحيث اننا عقدنا العزم على البقاء في مصر واضربنا عن
 اخلائها لزمنا ضمانات الديون المصرية وحملها ثقيل على كواهلنا فعلى جميع
 الدول ان تمدنا بالمساعدة وتكون لنا عوناً على تنقيص الفوائد ولا نحب
 ان تكون مذاكراتها معنا الا في المالية خاصة فاننا لا نرجو من مفاوضاتها
 فائدة الا فيها اما سائر الشؤون فعلى تدبيرها والينا مصيرها هذه اقوال
 تصدر عن آمال يمدون اسبابها الى برلين ويرجون ان تكون مواهلهما
 ومعافدها في تلك المدينة عاصمة الالمان .

اما البرانس بسمارك وهو مدير السياسة في اوربا ويده زمامها
 فيرى ان هذه فرصه ينتهزها ليستفيد صديقاً وينكي عدواً وايست له
 علائق سياسية تحمله على المدافعة عن مصر ولا منافسة له مع الانكليز
 تبعته على معاكستهم بل له اليهم حاجة في ضمهم اليه وابعادهم عن

فرنسا لتكون منفردة بين الدول لا حليف لها وقد تكون له من صلة الانكليز ما رب اخرى سوى قطع فرانسا عن الحلفاء ينالها يوم الحاجة اليها وما هو منه يبعد فماذا يضره اذا ادخر عوناً واساء عدواً والنفقة على خزينة غيره . نعم ربما يظن ان بسمارك يمنعه عن مثل هذه المعاملة رعاية جانب حلفائه من النمسا وايطاليا لما لهم من المصالح في البحر الايض ويصعب عليه ان يصيب سياسته الجمع بين مراعاة انكلترا لنيل مصافاتها وبين التمسك بعهوده مع ذوي حلفه الا ان قد يسهل عليه التخلص من هذا المضيق بالاشارة الى طرابلس الغرب وبلاد الارنوط والايما الى الاراضي البلكانية وسلافيك ويجلوها لانظار معاهدته فيسكن جاشهم ويطمئن خاطرهم فيستثبت بذلك موالاة الدولتين ويقلم اظفار الروسية من اوربا الشرقية ويضع مصالح فرانسا في بلاد المشرق عموماً ومصر خصوصاً وفي كل ذلك الربح له والحسارة على غيره وليست هذه اول فعلة فعلها بسمارك او يفعلها فهي شرعته التي يرد اليها ويصدر عنها من يوم معاهدة برلين الى هذا الوقت .

وفرانسا واقعة بين مراوغات الانكليز ومكائد بسمارك . لها حقوق سابقة في البلاد المصرية كاد يمحى اثرها بمدخلة الانكليز وبها حاجة شديدة لعلو الكلمة في طريق منشأتها ببلاد الصين والبحر الهندي ومداعسك . لهذا تبذل الجهد لاجلاء الساكر الانكليزية عن مصر وتخفيض سلطة الانكليز فيها ويوجد لها عون من دولة الروسية ولها من

المنفعة ما لو ايدته افكار المصريين واراى ذوي العزيمة من رجالهم وميل
افئدتهم لمكنها من تخليص مصر وانتزاعها من ايدي الانكليز سعياً في
حفظ مصالحها ووقاية حقوقها وهذا مما يؤيد سياسة الدولة العثمانية
ويشد عضدها في مدافعة الانكليز ومطاردتهم من بلادها فلدولة
العثمانية ان تظهر عزمها في هذه الاوقات لتستقذ ممالكها من طمع
الظالمين وتعيد ولايتها على الاقطار المصرية خالصة لها من سلطة
المعادين وان جميع المسلمين ينتظرون منها الخلق في هذه المسئلة ولهم
فيها الامل القوي والثقة الكاملة ورجاؤهم ان لا تفوتهم هذه الفرصة
بدون ان ينالوا بها حظهم من الغنيمة وليس على الدولة من باس اذا
طالبت الانكليز برد حقوقها كافة فانهم بالنسبة اليها اضعف من ان
يجاهرها بالعدوان وانا نكرر ما قلناه سابقاً من ان الانكليز يستحيل
عليهم ان يعلنوا على الدولة العثمانية حرباً خصوصاً في هذه الاوقات
التي اصبحت فيها دولة الروسية متاخمة لمملكة الافغان فان اول
اشاعة لهذه الحرب توقد لهيب الثورة في عموم الممالك الهندية وهذا
جلي عند كل انكليزي * ان التغافل والوهن ربما يوسعان مجال الطمع
فيفتح باب المسئلة الشرقية او يكون لها استعداد قريب وليس للمصريين
في طورهم هذا ان يركنوا الى من ليس من ابناء جلدتهم فان النفرة
التي تحمل على الحمية تكاد ان تكون منحصرة بحكم الطبيعة في ابناء
الوطن فلا ترجى من غيرهم فعلى العقلاء من اهالي مصر ان يسارعوا

الى معاضده الدولة العثمانية والاتحاد معها على تخليص بلادهم مستعنيين
 بافكار الدول التي تقضي عليها مصالحها بالسعي في انقاذها واعادة شأنها
 الاول وتحقيق ما يقال من ان مصر للمصريين * وبالجمله فالاطماع
 ففرت افواهما والافكار في اضطراب شديد وظنون الناس شتى فمن
 قائل ان المؤتمر لا ينعقد لتعسر الاتفاق بين فرانس وانكلترا على القواعد
 الاساسية للمداولة فيه وعن قائل انه ينعقد على ان يضع مصر تحت حماية
 عموم الدول ويقرر انشاء مراقبة عمومية مع بقاء العساكر الانكليزية
 مدة سنتين وعلى اي حال فالرزية انما تصيب الغافل والسوء انما يحيق
 بالمتساهل والجبان محروم من حقوقه والعامل بيد غيره خاسر فعلى
 المصريين والدولة العثمانية ان يظهروا الشهامة والاقدام ويرفعوا علم
 المهمة ابقاء لحياتهم وصوناً لشرفهم والامر لله يفعل ما يشاء .

— ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ﴾ —

امران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة ويهدى اليهما الدين
 تارة اخرى وقد تفيدهما التربية وممارسة الاداب وكل منهما يطلب
 الاخر ويستصحبه بل يستلزمه وبهما فاعوام وعظمتها واورفتها واعتلاؤها *
 وهما الميل الى وحدة تجمع والكلف بسيادة لا توضع . واذا اراد الله
 بشعب ان يوجد ويلقى بوانيه (يثبت ويقيم) الى اجل مسمى اودع
 في صاعته (اصوله) هذين الوصفين الجميلين فانشاء خلقا سويا ثم

استبقى له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهى اجله .
كل امة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لئلا منها بالغب ما تنمو به
بنيتها ويشد به بناؤها فلا بد يوماً ان تقضم وتهضم وتضمحل ويمحى
اثرها من بسط الارض . ان التغلب في الامم كالغذي في الحياة
الشخصية فاذا اهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو ثم ارتدت الى
الذبول والنحول ثم افضت الى الموت والهلاك . وليس من الممكن لامة
ان تحفظ قوامها وتصل على من يليها لتختزل منه ما يكون مادة لنمائها
الا وأن تكون متفقة في تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها . اذا احسست من
امة ميلاً الى الوحدة فبشرها بما اعد الله لها في مكنون غيبه من السيادة
العاليا والسلطة على متفرقة الأمم . اذا تصفحناتاريخ كل جنس واستقرينا
احوال الشعوب في وجودها وفنائها وجدنا هذه سنة الله في الجمعيات
البشرية حفظها من الوجود على مقدار حفظها من الوحدة ومبلغها من
العظمة على حسب تطاولها في الغلب وما انحط شأن قوم وما هبطوا
عن مكانتهم الا عند لهوهم بما في ايديهم وقناعتهم بما تسنى لهم ووقوفهم
على ابواب ديارهم ينتظرون طارقهم بالسوء وما اهلك الله قبيلة الا بعد
ما رزئوا بالافتراق وابتلوا بالشقاق فاورثهم ذلاً طويلاً وعذاباً ويلاً
ثم فناء سرمدياً .

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من افراد الامة
بمنافعها ومضارها وشعور جميع الاحاد في جميع الطبقات بما تكسبه من

مجد وسلطان فيلذ لهم كما يلذ اشهى مرغوب لديهم وبما تفقده من ذلك
 فيالمون له كما يالمون لاعظم رزء يصابون به وهذا الاحساس هو ما
 يعث كل واحد على الفكر في احوال امته فيجعل جزءاً من زمنه
 للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسودد وما يدفع عنها طوارق الشر
 والغيلة ولا يكون همه بالفكر في هذا اقل من همه بالنظر في احواله
 الخاصة ثم لا يكون نظراً عقياً حائراً بين جدران الخيلة دائراً على
 اطراف الالسنه بل يكون استبصاراً تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر
 على استكمالها بما يمكن من السعة وما تحتمله القدرة على نحو ما يكون في
 استحصال مواد المعيشة بلا فرق بل تجد الانفس ان شأن الامة في
 المكان الاول من النظر والدرجة الاولى من الاعتبار والشؤون الخاصة
 في المنزلة الثانية منهما . ولا تقف فيما تجد عند جلب المصالح ودرء
 المفاسد لاوقاتها الحاضرة بل ياخذ العقلاء مناسلاً من التفكير ويخترطوا
 سيوفاً من الهمه ليصيبوا من سعيهم شوارد من القوة ونواد من المكنة
 ويستخرجوا دفائن من الثروة فيجمعوا ذلك للامة لصيانة حياتها الى حد
 العمر اللائق بها كما يسعى حازم جهده لتوفير ما يلزم لمعيشته وما يطمئن
 به قابه في دفع حاجته مدة العمر الغالب بل يزيد عليه ما فيه الكفاية
 لابنائهم من بعده . وان الدور الاول من اعمار الامم لا ينقص عن
 خمسة قرون ثم تملوه سائر الادوار واولها اقصرها وهو سن الطفولية
 وبدء الكمال فيما يليه فما ارفع هم العقلاء في الامم المستبصرة .

إذا بلغ الاحساس من مشاعر افراد الامة الى الحد الذي يناه
 رأيت في الدهماء منهم والخاصة هما نعلو وشيا تسمو واقداماً يقود
 وعزماً يسوق كل يطلب السيادة والغلب فتتلاقى همهم وتتلاحق
 عزائمهم في سبيل الطلب فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم كما تندفع
 السيول على الوهاد ولا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه ويكون
 نزوهم على الامم بعد الغلب الاول تدفقاً من الطبع لا يحتاج الى فكر
 وتروية الا في اعداد وسائل الفوز والظفر

هذان الامران الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان
 من اركان الديانة الاسلامية وفرضان محنومان على من يستمسك بها ومن
 خالف امر الله فيما فرض منهما عوقب من مقتته بالخرى في الدنيا
 والمذاب في الآخرة . جاء في قول صاحب الشرع ان المؤمن للمؤمن
 كالبنان يشد بعضه بعضاً وان المؤمن ينزل من المؤمن منزلة احد اعضائه
 اذا مس احدهما الم تأثر له الاخر وجاء في نهيه لانتقاطوا ولا تدابروا
 ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخواناً . وانذر من شد عن الجماعة بالخسران
 والهلكة وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب .

هذا كله بعد ما امر الله عباده بالاعتصام بجملة ونهاهم عن التفرق
 والتغابن وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد ان كانوا اعداء ونطق الكتاب
 الالهي بانما المؤمنون اخوة وطلب من المخاطبين بآياته ان يبادروا باصلاح
 ذات البين عند التخالف ثم شدد في وجوب الاصلاح وان ادى الى

بمقاتلة الباغي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان
بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وانما
امر الله الدخول فيما اتفق عليه المؤمنون وتوحيد الكلمة الجامعة . ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات . وتوعد الكتاب
الاقديس كل من انحرف عن سبيل المؤمنين واوعده بالعقاب الاليم
فحكم بان من يتبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى ويصله جهنم
وساءت مصيراً . وفي امره الصريح ايجاب التعاون على البر والتقوى ولا
بر احق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق واعلاء منار الامة واخبر
الصادق صلى الله عليه وسلم ان يد الله مع الجماعة وكفى بالقدره الالهية
عوناً اذا صحح الاجتماع وصدقت الالفه وقد بلغت مكانة الانفاق في
الشريعة الاسلامية اسمى درجة في الرعاية الدينية حتى جعل اجماع الامة
واتفاقها على امر من الامور كاشفاً عن حكم الله وما في علمه واوجب
الشرع الاخذ به على عموم المسلمين وعدهم جودهم مروقاً من الدين وانسلاخاً
عن الايمان ومن عناية الشارع بامر الانفاق قوله صلى الله عليه وسلم لو
دعيت الى حلف الفضول لفعلت (حلف الفضول ما كان من هاشم
وزهرة وتيم حيث وفدوا على عبدالله بن جدعان وتحالفوا على ان يدفعا
الظلم ويأخذوا الحق من الظالم وسمي حلف الفضول لانهم تحالفوا على
ان لا يدعوا عند احد فضلاً يزيد عن حقه ويكون نواله بالظلم الا
اخذوه منه وردوه لمستحقه) فهو من حلف الجاهلية وقد صرح الشارع

بقبوله لدعى اليه . هذا اجمال الادلة على وجوب الاتفاق وحظر المناظرة
والمغابنة بين المسلمين بل وبينهم وبين غيرهم ممن رضي بذمتهم وقبل
جوارهم بالمعروف في سعيهم فان سبيل المؤمنين يسعه ولا يضيق عنه *
واما السعي لاعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية
من آيات القرآن الشريف الا وهي داعية اليه جاهرة بمطالبة المسلمين
بالجد فيه حاضرة عليهم ان يتوانوا في اداء المفروض منه ومن الاوامر
الشرعية ان لا يدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله وفي السنة المحمدية والسير النبويه مما يضافر آيات القرآن
ما جمعه العلماء في مجلدات يطول عددها .

هذا حكم ديننا لا يرتاب فيه احد من المؤمنين به والمستمسكين
بعروته . هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والركون الى
الضيم ان ندعي القيام بفروض ديننا . كيف ومعظم الاحكام الدينية
موقوف اجراءه على قوة الولاية الشرعية فان لم يكن الوفاق والميل الى
الغلب فرضين لذاتهما افلا يكونان مما لا يتم الواجب الا به فكيف بهما
وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا . هل لنا عذر نقيمه عند
الله يوم العرض والحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين
الركنين وايسر شفاعة الينا اقامتهما وعديدنا مئتا مليون او يزيد هل
يتيسر لنا اذ تحكموا بانفسنا وجادلنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه
الآن . كل هذه الرزايا التي حطت باقطارنا ووضعت من اقدارنا

ما كان قاذفنا ببلائها ورامينا بسهامها الا افتراقنا وتدابرننا والتقاطع الذي
 نهانا الله ونبيه عنه لوادينا حقوقا نطالبنا بها تلك الكلمة التي تهمل بها
 السنتنا وتطمئن قلوبنا بذكرها وهي كلمة الله العليا هل كان يمكن
 للاغراب ان يمزقوا ممالكنا كل ممزق وهل كان يلعب سيف العدوان
 في وجوهنا وهل كنا نشيم نيران الاعداء الا وقد امننا في صياصيمهم
 وابدينا على نواصيمهم . ان لانباء الملة الاسلامية يقيناً بما جاء به شرعهم
 لكن اليس على صاحب اليقين بدين ان يقوم بما فرض الله عليه في ذلك
 الدين * احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد
 فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * ولا
 ربه في ان المؤمن يسره ان يعلمه الله صادقاً لا كاذباً واي صدق
 تظهره الفتنة ويمتاز به الصادق من الكاذب الا الصدق في العمل *
 هل يود المسلم لو يعمر الف سنة في الذل والهوان وهو يعلم ان الازدراء
 بالحياة هو دليل الايمان * انرضى ونحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة
 العليا ان تضرب علينا الذلة والمسكنة وان يستبد في ديارنا واموالنا من
 لا يذهب مذهبا ولا يرد مشربنا ولا يحترم شريعتنا ولا يرقب فينا الا
 ولا ذمة بل اكبرهم ان يسوق علينا جيوش الفنا حتى يخلي منا اوطاننا
 ويستخلف فيها بعدنا ابناء جلدته والجالية من امته

لا . لا . ان المخلصين في ايمانهم الواثقين بوعد الله في نصر من
 ينصر الله الثابت في قوله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم

لا يتخلفون عن بذل اموالهم وبيع ارواحهم والحق داع والله حاكم
والضرورة قاضية فاين المفر . المبصر بنور الله يعلم انه لا سبيل لنصر الله
وتعزيز دينه الا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين . هل يسوغ لنا
ان نرى اعلامنا منكسة واملا كنا ممزقة والقرعة تضرب بين الاغراب
على ما بقي في ايدينا ثم لا نبدي حركة ولا نجتمع على كلمة ونُدعي مع
هذا اننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمد . واجعلناه لو خطر هذا ببالنا
ولا اظنه يخطر ببال مسلم يجري على لسانه شاعدا الاسلام

ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة
الاسلام كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دعاهم
بعض ما اشرنا اليه في اعداد ماضية فالحماهم عما يوحى به الدين في
قلوبهم واذهلهم ازمانا عن سماع صوت الحق يناديهم من بين جوائفهم
فسهوا وما غووا وزلوا وما ضلوا ولكنهم دهشوا وتاهوا فقتلهم مثل
جواب المجاهيل من الارض في الليالي المظلمة كل يطلب عونا وهو
معه ولكن لا يهتدي اليه وارى أن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم
لايصال اصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض لا يمكنهم ان يجمعوا
بين ادوائهم في اقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص
الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل مسلم ان
يحججه ما استطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين
وعشائرهم واجناسهم فما هي الا كلمة نقال بينهم من ذي مكانة في

نفوسهم تهتز لها أرجاء الأرض وتضطرب لها سواكن القلوب . هذا ما أعدت لهم له العقائد الدينية فإن أضفت اليهما اذاب قلوبهم من تسديات الاجانب عليهم وما ضاقت به صدورهم من غارات الاغراب على بلادهم حتى بلغت ارواحهم التراقي ذسبت الى ان الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حداً يوشك ان يكون فعلاً وهو مما يريد الساعين في هذا المقصد ويهيئ لهم فوزاً ونجاحاً بعون الله الذي ما خاب قاصده وهو ربي اليه ادعوا اليه انيب

— منشور انكليزي قديم —

نشرت حكومة انكلترا في الهند منشوراً من مدة مائة وثمانين سنة وهذه ترجمته : اذا وجدت في دوائر الحكومة وظيفة لا يقوم بها انكليزي (اي لا تليق لخستها ان تكون بيد احد من الجنس الشريف) وجب ان يقام فيها احد الفارسيين الباقين على دين زردشت (الجوس) فان لم يكن منهم مقتدر على القيام بها اقيم فيها وثني (عابد صنم) فان لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء من يؤدي عملها كلف بها مسلم فليس للمسلمين في الهند حظ من وظائف الحكومة الا ما يعافه المجوسي والوثني وهذا هو عنوان محبة الانكليز للمسلمين وهو برهان دعواهم انهم اولياء المسلمين وانصارهم لاكثر الله من امثال هؤلاء الاولياء والانصار

== ان في ذلك عبرة لاولي الابصار ==

كيف يمكن اقوة اجنبية تصول على امة من الامم ان تسود عليها وتستعبد لها وتذلها للعمل في منافعها مع التخالف في الطبائع والعوائد

والافكار ووجود المقاومة الطبيعية فضلاً عن الارادية . ان الوحشة
 المتمكنة في نفس كل واحد من الامة وظن كل فرد انه في خطر على
 روحه وماله اذا غلبه الغالبون تحمله على المدافعة كما يدافع عن بيته
 وحرمة فلا يتسنى للقوة المغيرة ان تذلل الامة إلا بافنائها عن آخرها او
 افناء الاغلب حتى لا يبقى إلا المجزأة والزمنى . هذا امر طبيعي وحكم
 بديهي متى كانت الغارة على الامة . نعم يسهل للقوة الاجنبية ان
 تغلب على امة عظيمة بدون تناحر ان كان لهذه الامة حاكم او رئيس
 روحاني تجتمع عليه قلوبها وتدين له رقابها لمنزلة له في افئدة ابنائها
 ولما كان ابائهم من الكرامة في نفوسهم فلا تحتاج القوة الغالبة إلا لايقاع
 الرعب في قلبه فيخبت ويقبل ماتحكم به او نصب حباله الحيل له فتخذه
 بالاماني والآمال فيذعن لما تقضي به فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت
 الامة تبعاً له . ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل
 سوق الجيوش وقود الجنود على قلوب الامراء وارباب السيادة في
 الامة التي يريدون التغلب عليها فيخلعونها بالتهديد والتخويف او يملكونها
 بالخدعة وتزوين الاماني فينالون بغيتهم ويأخذون اراضي الامم وهذا
 الطريق هو الذي سلكه الانكليز مع السلطان التيموري في الهند ولولا
 ما كان للهنديين من عقدة الارتباط بسلطانهم التيموري وقبض الانكليز
 اول الامر على تلك العقدة لما تيسر للبريطانيين ان يخضعوا الامم
 الهندية في احقاب طويلة .

هذه قبائل الافغان عندما انحلت ثقتها باميرها وصارا الامر الى
الامة قامت كل عشيرة بل كل فرد للدفاع عن نفسه بعد ما تمكنت
عساكر الانكليز في قلاعهم وحصونهم واستولت على قاعدة ملكهم
وفتكوا بالعساكر الانكليزية وهزموا قوتها واجلوها عن بلادهم وهي ستون
الفاً من الجيوش المنتظمة مسلحة بالاسلحة الجديدة واضطر الانكليزان
ينزحوا تلك البلاد لاهلها لا ريب انه يسهل على الانسان ان يأخذ شخصاً
واحداً واشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد ويتيسر له ان يقف على
طباعهم ويدخل عليهم من مواقع اهوائهم ويأتيهم من ابواب رغائبهم
لكن يتعسر بل يتعذر عليه ان يأخذ امة بتمامها وعقولها مختلفة عليه
نفوسها في وحشة منه اللهم إلا بالابادة والتدمير . من هذا تجد الملوك
العظام لا يهربون الاشتباك في حرب مع اقنالم بل ومن هو اشد منهم
قوة ولكنهم يفرقون بل تذهب افئدتهم هواء اذا احسوا بميل الامة
عنهم وما هذا إلا لان قوة المنالين داخلية تحت الضبط اما احاد الامم
وقواها فلا تضبط ولا استطاع مقاومتها اذا تعاصت وشحت بنفسها
عن الذل لسواها

ان الامراء كما يكونون في دور من ادوار الامة قوى فعالة لنموها
وعلوها وعظمتها واشتداد عضدها كذلك يكونون في بعض اطوارها علة
فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها وانا نخاف ولا حول ولا قوة الا بالله
ان يكون امرؤونا والاعلون منا آله في اضمحلنا وقائنا لما غلب عليهم من

الترف والانهماك في اللذائذ والانكباب على الشهوات مع سقوط المهمة
وتغلب الجبن والحرص والطمع على طباعهم فانا لله وانا اليه راجعون



امانى الانكليز في الحوادث المصرية

جاء من لوندرا الى اجانس هافاس ما ملخصه لا يظن احد من
الناس ههنا (في لوندرا) ان الجيوش التي عزمت حكومة انكلترا على
سوقها الى السودان يقصد منها انقاذ كوردون فسان كوردون معزز
برجال من الوطنيين (المصريين او السودانيين) اولي عزم وقوة ولهم
سطوة تدفع بأس الذين ييغون به البشر . واذا مست الحاجة الى تخليه
عن عمله وتركه لمركزه فلا يعدمون وسيلة لخلاصه * اما القصد
الحقيقي من بعث الجود الى السودان فانما هو افتتاحه تحت العلم
الانكليزي وهو وان كان يحتاج الى زمن طويل الا انه قليل الخطر ولا
توجد في سبيله عقبات سياسية حيث تنازلت الحكومة المصرية عن
سيادتها في تلك الاقطار .

يسهل على العساكر الانكليزية ان تسير الى خرطوم على طريق
النيل وان سلكت سبيلاً من الارض اليابسة فلا تبعد عن شواطئ
النهر (لتكون تحت حماية المراكب) وترافقها في السيل مراكب تعد

لقطع النيل والنصود الى الشلالات فاذا وصلت العساكر والاساطيل
النيلية الى خرطوم واستولت عليها اعتصمت فيها حكومة عسكرية
تم نفوذها الى قلب السودان ويكون في هذا عوض للانكليز عما
يخسرونه في مصر لو الزمهم المؤتمر بالتنازل عن شيء مما
يطمحون اليه فيها .

قالت جريدة الريو بليك فرانز انا نذكر هذه الرسالة على انها
شبه حجة على مقاصد الانكليز والا فانا نعد ما تحويه من قبيل الاوهام
والخيالات اه . اما نحن فنقول من امعن النظر في اعمال الانكليز
وتتبع سيرهم في افتتاح الممالك الشرقية علم صحة ما رواه اجانس هافاس
فانه منطبق على قواعد السياسة الانكليزية وآت على اساسها الذي بنوا
عليه فتوحهم من ازمان طويلة وهو اصل تعارفه الانكليز حتى صار
نكاسة لازمة لطبايعهم ترد اليه جميع اعمالهم من حيث يشعرون ولا
يشعرون وعليه كان بناء ملكهم في الهند .

ان الانكليز اول ما خطوا خطوة في الهند وجدوا مملكة (اود)
من الممالك الواسعة واغلب اهلها على مذهب الشيعة ولها نواب (حاكم)
عظيم من هل ذلك المذهب قرأوا ان يحملوه على الاستقلال وزينوا
له الطمع في لقب شاه لينفصل عن الملك التيموري . وفي التنازع لنيل
هذا الطمع بصيب كلا من الطامع وصاحب الملك سهم من الضعف
والوهن فينتها كل منهما للوقوع في مغالب الانكليز وقد حصل .

واول ما حلوا مصر ولحوا شرارة في السودان ادنوا منها وقودها
 لتكون ناراً مهلكة فبعد ما طردوا الجيوش المصرية ايذاناً بالغضب
 عليهم جمعوهم ليسوقوهم الى السودان تحت قيادة اعداء لهم من الانكليز
 فذهبوا وهم موقنون انهم يساقون الى الموت ليدوقوا وبال الانتقام
 فقلوبهم منكسرة وعزائمهم واهنة وعقائدهم لا تسمح لهم بالانقياد
 لروسائهم الاجانب واحس السودانيون وهم مسلمون ان قواد الغارة
 عليهم ليسوا على شاكلتهم فرادهم حمية واقداماً فكان هذا وذاك سبباً في
 استفحال امر السودان بعد ما هلكت رجال وانفقت اموال وبسات
 احوال من السودانيين والمصريين * كل هذا ليتوسل به الانكليز
 لفصل السودان عن مصر بعد خراب الدارين وكانهم عند ما ارسلوا
 كوردون باشا واذنوه ان يمنح محمد احمد لقب امير كوردفان قصدوا
 ان يتمموا عملهم ولكن لم ينجحوا .

وعند ما كانت الحرب قائمة بين دوست محمد خان امير
 افغانستان وبين (رانجيب سنك) البنجابي تخوف الانكليز من
 تسلط الافغانيين على بنجاب فتدخلوا في الصلح وسحروا قلوب
 الافغانيين بلين القول ولطف الوعد حتى ارضوهم بترك مدينة يشاور
 وما يليها لرانجت سنك وانعقد الصلح على هذا واجلى الافغانيون عن
 مملكة بنجاب ورجعوا الى بلادهم . وبعد عشر سنين من تاريخ
 الصلح زحف الانكليز الى بنجاب وافتتحوها لانفسهم واستولوا على

مدينة يشاور فقال بعض امراء الافغان ان ذاك الصلح كن مقدمة
لهذا الفتح وان الانكليز في تعيينهم للحدود انما كانوا يحددون بلادهم
ولكن كما عنه غافلين .

ومن نحو سنة ونصف او ما اللورد دوفرين في تقريره المصنوع
بالقاهرة الى انه لا حاجة بالحكومة المصرية الى السودان بل لا فائدة
لها فيه وفهم الغرض في ذلك الوقت من اصابه وغفل عنه قوم اخرون
اغتراراً بظواهر العبارات ثم لم يلبث الايام ان صار تصريحاً رسمياً
والزاماً للحكومة المصرية ان تتخلى عن السودان فلم يكن التلميح
والتصریح ثم الاحلاح والالزام الا ليهيئو البلاد السودانية للدخول تحت
سلطتهم في وقت من الاوقات لسبب من الاسباب التي لا يعجزون
في اختراعها متى شأوا . هذا سير يعرفه من قرا صفحة من تاريخ
الانكليز في الممالك الشرقية * تريد حكومة انكلترا اذا عارضتها الدول
في السيادة على مصر ان تنشئ لها سلطة في خرطوم يمتد حكمها الى
جميع اراضي السودان وعساكرها الان حالة في سواكن وما اسرع
ان تصل بين المدينتين بسكة الحديد فتكون القوى الانكليزية بعد هذا
محيطه بمصر من جميع الجوانب . وقفت على بابها من طرف الشمال في
قبرص وطوقت حدودها من الغرب الى الشرق في السودان وتمكمت
في منابع النيل وتصرفت في اعلاه واخذت كل طريق يمكن منه
استيلاؤها على الديار المصرية وهناك يرصد الانكليز حركات الدول

عليهم فاموا فيتقدمون الى مصر حطوه بعد حطوه وده يابلون طال
الزمان او قصر فانهم يعرفونها لهم علي اي حال ولكنهم يتقون معارضة
الدول في هذه الاوقات . هذه غايات سير الانكليز في الحوادث
المصرية وهي كما قالت الروييليك فرنسز خيالات واوهام اذا اشتدت
الدولة العثمانية ورجال مصر في المطالبة بحقوقهم الشرعية والمحافظة على
شؤونهم واخذوا بالحزم وعقدوا العزم على مقاومة سعي الانكليز في
اوطانهم وديارهم بعد ما ظهر لهم ماذا يقصدون بهم فان تهاونت الدولة
العثمانية او تغافل المصريون حسبها الانكليز طريقاً مطروقة وسبيلاً
مسلوكة وعدوا مطامعهم حقائق ثابتة ومطالب مقررة لا نجح سعيهم
ولا صدق ظنهم .

السودان ومصر

نشرت جريدة البوسفور اجبسيان التي تطبع في القاهرة خبراً ذكره توفيق
باشا نفسه وهو ان الجنرال كوردون توعده حكومته الانكليزية بانها ان لم تمده
بجيش ينقذه من الضيق الملم به فانه يرفض الدين المسيحي ويدخل في دين الاسلام
وضمنت جريدة البوسفور صحة هذا الخبر المعجيب (كذا وصفته الجريدة
بالمعجب) وغرابة الخبر ان كانت من جهة انه تهديد بما لا يهجم الحكومة ف نحن نعلم
ان الانكليز يفزعهم خروج احد منهم عن دينهم وان كانوا يرشدون الناس الى

ترك الدين ويعيبون عَلَى المستمكبين به أكنهم اشد الناس تعصبا فيه فلا محل للغرابه وان كانت من جهة ان كوردون وهو من اشد قومه تمسكا بدينه كيف يجنح للاسلام فهو انكليزي الطبيعة كما هو انكليزي الجنس يتلون ظاهره باي لون و يبرز في اي ثوب لاصابة غرضه مع المحافظة عَلَى ما طبع الله عَلَى قلبه فلا عجب ان قال وفعل * في خبر ان محمد احمد طلب الى اعوانه المحاصرين لخرطوم ان يوجهوا اليه بكوردون حيا ولا يمسه بسوء اذا وقع في ايديهم . وفي تافراف من اسيوط الى جريدة التيمس ان مركبا من راكب البريد وصلت اليها تحمل ثلاثة اشخاص . رسلين من طرف زبير باشا لاستكشاف حالة كوردون وتوجهت في الحال بمن فيها الى اصوان . هكذا الدهر ابو العجب . من سنين قليلة فتك كوردون باولاد الزبير وذوي قرابته وافسد عليه شؤنه واخرجه عن جميع امواله واليوم رابنا كدر الضغينة في صفا الحجة يبعث الزبير عَلَى الرافاة بكوردون وتوجيه الرسل للسؤال عن صحته والاستخبار عن سلامة حاله . جاء الخبر ان اهالي جرجا (مدينة من مدن الصعيد مركز مديرية في جنوب اسيوط) في هياج شديد يشبه ان يكون ثورة وورد الى تلك المدينة رجل من اشياع محمد احمد قادما من القاهرة ودعا الاهالي للاخذ بطريقته فاذا بينهم جم غفير يجيب داعيه ويذهب مذهبه وهو مما بدل عَلَى ان القائم السوداني مهم بنشر دعوته محتاط لنفسه حاذق في عمله وله دعاة في ارجاء الديار المصرية حتى في عاصمتها (القاهرة) فان ثبت في هذا السير حل بالحكومة المصرية منه ما كنا نخشى ان يقع بها ويشند الخطب ولربما صار له بقوة ميل الاهالي اليه منعة يصعب عَلَى حكومة غير اسلامية ان تقارعها . اما ما ذيل به خبر الهياج في جرجا من وجود عداوة بين المسلمين من اهاليها وبين المسيحيين فهو ما لا نصدق ولا ينطبق عَلَى الواقع لان الايام السابقة شاهدة عَلَى حفظ كل من الفريقين زمام الاخر في جميع الاحوال التي عرضت عَلَى بلاد مصر المسلمون والمسيحيون فيها عَلَى وفاق تام في جميع نواحيها والمقاتل التي وقعت ايام الحرب المتقضية انما كان منشاؤها افساد

المفسدين عَلَى انه لم يمس فيها قبطني بسوء والاخبار الصحيحة تؤيد ما نقول .
ارسلت الحكومة المصرية الطابور السابع من المشاة الى اصوان مع جملة من
المدافع الجبلية وعدد وافر من الجبال .

في تلغراف من سواكن الى جريدة الد التلغراف ان مناقشات وقعت من
تباع محمد احمد بالقرب من سواكن وفي جريدة النمس ان الثائرين اطلقوا
مدافعهم عَلَى تلك المدينة في الساعة الثانية صباحاً من الثامن والعشرين من شهر
ماي الا انه لم يصب احد من الحرس وتاخر المهاجمون بسرعة . عثمان دجحه مع
الف من رجاله نازلون عَلَى القرب من طمانيب ومعظم قوته حالة بتلك البلدة
ويقال ان بنفوس عساكره كدراً من قلة الأزواد وهو من اخبار العدو يسمع
وقد لا يصدق . ان الاميرال هفيت المرسل من طرف انكلترا لخديعة الملك
يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول * اراد رجال الانكليز ان يخففوا عَلَى
القلوب المتخلعة من ابناء امتهم اموال السودان وما يتوقعونه من مصائب فاشاعوا
ظهور شخص يدعي المهدوية في درفور ويخبران محمد احمد ليس الا تلميذاً له
من قدماء تلامذته وكان الانكليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانين كما
يسرهم تخالف المسلمين اجمعين .



زبير باشا

في تلغراف ورد لجريدة دالتلغراف من القاهرة في ٢٧ مايو

ان زبير باشا طلب الى سراي توفيق باشا بناء عَلَى اشارة الحكومة الانكليزية
والتمس منه المستر اجرتون ان يجد وسيلة لا يصال رقيم الى كوردون باشا بأمره
بالعود حالاً واتباعاً لامر توفيق باشا بعث الزبير باحد خدمه لاداء هذا العمل
وكانت فرصة انتهزتها حكومة فرانس لاستدعاء فصلها في خرطوم وقد ضمن

المفسدين على انه لم يمس فيها قبضي بسوء والاخبار الصحيحة تؤيد ما نقول .
ارسلت الحكومة المصرية الطابور السابع من المشاة الى اصوان مع جملة من
المدافع الجبلية وعدد وافر من الجبال .

في تلغراف من سواكن الى جريدة الدتلغراف ان مناقشات وقعت من
تباع محمد احمد بالقرب من سواكن وفي جريدة الشمس ان الثائرين اطلقوا
مدافعهم على تلك المدينة في الساعة الثانية صباحاً من الثامن والعشرين من شهر
ماي الا انه لم يصب احد من الحرس وتاخر الهاجون بسرعة . عثمان دجه مع
الف من رجاله نازلون على القرب من طمانيب ومعظم قوته حالة بتلك البلدة
ويقال ان بنفوس عساكره كدراً من قلة الازواد وهو من اخبار العدو يسمع
وقد لا يصدق . ان الاميرال هفيت المرسل من طرف انكثرا لخدبة الملك
يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول * اراد رجال الانكليز ان يخففوا على
القلوب المتخلعة من ابناء امتهام احوال السودان وما يتوقعونه من مصائب فاشاعوا
ظهور شخص يدعي المهدوية في درفور ويخبران محمد احمد ليس الا تلميذاً له
من قدماء تلامذته وكان الانكليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانيين كما
يسرهم تحالف المسلمين اجمعين .



زبير باشا

في تلغراف ورد لجريدة دالتلغراف من القاهرة في ٢٧ مايو
ان زبير باشا طلب الى سراي توفيق باشا بناء على اشارة الحكومة الانكليزية
والتمس منه المستر اجرتون ان يجد وسيلة لا يصال رقيم الى كوردون باشا بأمره
بالعود حالاً واتباعاً لامر توفيق باشا بعث الزبير باحد خدمه لاداء هذا العمل
وكانت فرصة انتهزتها حكومة فرانساستدعاء فصلها في خرطوم وقد ضمن